



القصة أخطر من حلب على رغم فظاعة ما يجري فيها وحولها. والقصة أكبر من الموصل على رغم أهميتها بالنسبة إلى المكون الذي تنتهي إليه والتوازنات الإيرانية – التركية على أرض العراق المريض. القصة أكبر من تفكك دولة هنا وهناك. ومن النزاع السنّي – الشيعي الفادح الخطورة. ومن أمواج القتلى واللاجئين. القصة أكبر من «داعش».

إننا في بدايات مبارزة روسية – غربية تعني أمن العالم واستقراره واقتصاده. ولا جدوى من عقد المقارنات مع أزمات شهدتها عالم المعسكرين وبينها أزمة الصواريخ الكوبية لأننا نعيش اليوم في عالم مختلف تماماً. لن نتسرع في إصدار الأحكام والترويج لسيناريوهات مثيرة. سنتوقف عند ما قاله رجل مسؤول لم يعرف بالتسريع أو التهور أو التشدد. إنه وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر شتاينماير. قال: «من الوهم الاعتقاد بأننا أمام الحرب الباردة السابقة. الفترة الحالية مختلفة، أكثر خطورة».

كلام ألماني آخر لولفغانغ أشنجر الذي عمل وسيطاً لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا في الأزمة الأوكرانية. قال: «إن خطر المواجهة العسكرية كبير. هذا الخطر لم يكن بمثيل هذا الحجم منذ عقود والثقة بين الغرب والشرق لم تكن بتاتاً ضعيفة إلى هذا الحد».

ما شهدته قاعة مجلس الأمن خلال مناقشة مشروع القرارين الفرنسي والروسي في شأن حلب يعطي التصريحات الألمانية قيمة إضافية. ليس بسيطاً أن توجه دول غربية كبرى إلى روسيا اتهامات بارتكاب «جرائم حرب» في حلب. وأن ترد روسيا بأن المشروع الفرنسي يمكن أن يوفر حماية للإرهابيين والتكفيريين.

لم تسمح روسيا برسم خطوط حمر لتحركها في حلب وسوريا. قطع مندوبيها فيتالي تشوركين عنق المشروع الفرنسي بسيف

الفيلتو. رفع تشوركين أصبعه وأسقط المحاولة الغربية. تذكرت الدول الغربية، أنها المرة الخامسة التي يرفع فيها تشوركين أصبعه ضد مشروع قرار يتعلق بسوريا. الأولى كانت باكراً في 2011. وأصبع تشوركين هو أصبع بوتين الذي يهدد الغرب متظاهراً بأنه ينصحه أو يكتفي بانتقاده.

ارتفاع أصبع بوتين للمرة الخامسة دفع الدول الغربية إلى إعادة فتح دفاتره. حين تدخل بوتين عسكرياً في سوريا لم يثر الغرب. ولعل بعض عواصمها فضلت رؤية سوريا روسية على رؤية إيرانية أو «داعشية». وهناك من توهم أن الرجل سينفذ النظام من السقوط ليرغمه في اليوم التالي على السير في حل سياسي استناداً إلى بيان جنيف أو ما يشبهه. كان خيار أوباما في سوريا واضحاً وقاطعاً. لن ينزلق إلى المستنقع السوري. اعتبر أن سوريا لا تستحق دم الأميركيين وأموالهم وتحمل مسؤولية إعادة إعمارها لاحقاً. اغتنم فرصة تنازل النظام السوري عن ترسانته الكيماوية وابتعد. اليوم يشعر الغرب بأن الخدعة الروسية كانت كبيرة.

يفتح الغرب اليوم دفاتر السياسة «العدوانية» لبوتين. من القرم إلى أوكرانيا إلى سوريا. من الطائرة الماليزية إلى قيام القاذفات الروسية باستفزاز دول أطلسية. وصل الخوف من روسيا إلى حد القلق من اختراقات قراصنتها للتأثير في سير الانتخابات الرئاسية في أميركا.

واضح أن الغرب يعيد حساباته. في دوائر القرار من يعتقد أن ارتفاع أصبع بوتين في مجلس الأمن كان يرمي إلى إطالة الحرب السورية بانتظار استكمال ظروف التدخل العسكري. وأن بوتين يتسلق أهرامات الجثث السورية بحثاً عن انتصار لا عن حل. وأنه يريد إطالة موسم إذلال الغرب وإغراق أوروبا باللاجئين وإرباك الاتحاد الأوروبي ومعه الأطلسي. يريد أيضاً أن لا يبقي أمام الرئيس الأميركي الجديد غير الاعتراف بالانتصار الروسي في سوريا والقبول بتعديل جدي في موازين القوى بين «القوتين العظميين».

من هو العدو الأول للغرب بوتين أم أبو بكر البغدادي؟ يبدو السؤال غريباً لكن ما يجري يجيز طرحة. ما فعله البغدادي شديد الخطورة. هبط من كهوف التاريخ واستولى على الموصل. ألغى الحدود السورية – العراقية وأطلق انقلاباً مدوياً على اتفاقيات سايكس – بيكو، أرسل مفاعلاً «داعش» إشعاعاته في كل الاتجاهات، عبرت سمومه حدود الدول والقارات، ارتكابات صارخة، وضربات فظة، وخلياً نائمة، وذئاب منفردة، ألهب العلاقات السنوية – الشيعية، وسكب الزيت على نار الأقلليات وجروح التعايش.

ألق البغدادي العالم واحتل سريعاً موقع العدو الأول. في العواصم الغربية اليوم من يسأل أيهما أخطر بوتين أم البغدادي. وظف بوتين إطلاة البغدادي واستيلاء المتشددين على الثورة السورية لإطلاق برنامج الثأر الكبير؛ الثأر من الغرب الذي دمر الاتحاد السوفيتي من دون إطلاق رصاصة، والثأر من حلف الأطلسي الذي يحاول تطويق روسيا وإذلال صورتها وسلامتها.

إذا استنفتح الغرب أن موعد تقليم أظافر القيصر قد حان فإن سوريا مرشحة لما هو أدهى ومعها المنطقة أيضاً.